

تُفَاحَةُ آدَمَ وَضِلْعُ آدَمَ، وَجِهَانُ لَخْطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ حَوَاءً.. دَلَالَاتٌ وَمَعْنَى

[مشاهدة عرض يُظهرُ تفصيلاً العلاقةَ الجدائيةَ بين تُفَاحَةِ آدَمَ وَضِلْعِ آدَمَ، انقر على هذا الرّابطة](#)

فعلُ التّصويرِ مؤداهُ الصّورةُ. والصّورةُ منتجٌ سهلُ القياسِ نسبياً. يمكنُ للعَيْنِ الواعيةُ تتبّعُ خطوطِ رسمه وصولاً إلى مفاتيحه أو تكادُ. بالمقابل، فعلُ الخلقِ هو فعلٌ سابقٌ للصّورة. يحتجُبُ بكليّته وراءَ الصّورة. ما من منتجٍ محسوسٍ له يمكنُ للعَيْنِ المجرّدةُ أن تلمسَ فصوله أو أن تلجَ تفاصيله. فقط، أذنُ تسمعُ، وعقلٌ يتفكّرُ، وروحٌ تزكي يمكنُ لها أن تمتدَّ بعيداً في بطنِ الزّمنِ لتنبشَ بعضاً ممّا خفي زمناً مهولاً.

مُستلهماً من آياتِ الذّكرِ الكريمِ دائماً، ومُتكنناً على مخرجاتِ العلمِ الحديثِ كثيراً، أعرضُ بحثي هذا في عمليّةِ تكوينِ الإنسانِ. سأعرضُ موجزاً عن تاريخِ نشوءِ الإنسانِ مُبتدئاً بحديثه، مُمسكاً بخطّ الزّمنِ وصولاً إلى منبته. بعدها، تكونُ مقاربةٌ علميّةٌ محضٌ شخصيّةٌ لقصّةِ التّكوينِ. وأخيراً، أختُمُ بخلّصاتٍ قد تكونُ عسيرةَ القبولِ كما الرّواجِ حالياً. لكن حَسْبِي أَنِّي اجتهدتُ.

"وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ"

لا شكّ في أنّ فعلَ التّكوينِ مرّ بمراحلٍ تطوريّةٍ طويلةٍ. ما يصحُّ في الإنسانِ، يصحُّ في كافّةِ مخلوقاتِ الله. لكن ما يعنيني في هذا المقالِ هو الإنسانُ بالخاصّةِ. بقراءةٍ متأنيةٍ للآيةِ الكريمةِ، نجدُ بياناً صريحاً من الله جلّ وعلا في فعلِ تكوينِ الإنسانِ على الهيئةِ التي هو عليها. فعلانِ متتاليانِ زمنياً؛ الأوّلُ خلقٌ والثّاني تصويرٌ، ظهرَا الإنسانَ على ما نراه الآن من ذكرٍ وأنثى.

فأمّا الفعلُ الثّاني (صوّرناكم)، فأعطى الصّورةَ المُعَيّنةَ للإنسانِ؛ صورةَ الرّجلِ وصورةَ المرأةِ كما نقشعهما العيونُ. المرأةُ بأنسِ مَحْيَاهَا وَجَمَالِ مَحْيَاهَا. والرّجلُ بقَدّه وَقَدِيدِهِ *انظرِ الشّكل (١)*.

وأما الفعلُ الأوّلُ (خلقناكم)، فهو بالضرّورةِ سابقٌ للصّورةِ. هو فعلٌ خلقٍ من عدم. هو فعلٌ براءةٍ وتخصّصٍ وظيفيٍّ. هو فعلٌ ترسيمِ المخطّطاتِ النّاطمةِ لمنتجِ المستقبلِ؛ الإنسانِ. وفي بيانِ هذا؛ أيّ في بيانِ فعلِ الخلقِ، فليتنافسِ المُتَنافسونِ.



النّمط الظاهرُ للمرأة



النّمط الظاهرُ للرّجل

الشّكل (١)

صورةُ الإنسانِ المعاصرِ

بيدَ أنّ الصّورتينِ أعلاه لا تُظهران حقيقةَ جوهرِ الخلافِ الظّاهرِ تشریحياً بين الجنسينِ؛ الرّجلِ والمرأةِ. ذلك، وحرصاً على الحياءِ العامِّ، سأعتمدُ التّمثيلينِ التّاليينِ للرّجلِ والمرأةِ *انظرِ الشّكل (٢)*.



النمط الظاهر للمرأة

هَب الدائرة إشارة إلى المتطابقات التَّشْرِيحِيَّة بين الجنسين؛ الرَّجُل والمرأة. فيكون تقاطع الخطَّين أسفلها إشارة إلى الأعضاء الجنسيَّة الأنتويَّة، أي إشارة إلى سُوءة المرأة.



النمط الظاهر للرَّجُل

هَب الدائرة إشارة إلى المُشترَكَات التَّشْرِيحِيَّة بين الجنسين؛ الرَّجُل والمرأة. فيكون رأس السَّهم إشارة إلى الأعضاء التَّناسليَّة الذكريَّة، أي إشارة إلى سُوءة الرَّجُل.

الشكل (٢)

النمط الظاهر للرَّجُل والمرأة

"فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ"

" **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا** " هو بيانٌ لا يرقى إليه شكٌّ في أنَّ تناولَ آدمَ لفاكهةِ تلكِ الشَّجرةِ كانت الأساسَ في ظهورِ الأعضاء التَّناسليَّةِ لكليهما؛ لأدمَ وحوَّاءَ. وتأكيداً على أهميَّة هذه الحيثيَّة في عمليَّة تصويرِ الإنسان، أتبعها الخالقُ بصورةً ثانيةً حاسمةً. إذ قالَ جلَّ وعلا " **وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ** ". هنا تأكيدٌ المؤكِّد في أنَّ حدَّ الفصلِ بين آدمَ وحوَّاءَ القيمةَ المجرَّدةَ وأدمَ وحوَّاءَ الإنسان، بين آدمَ وحوَّاءَ اللَّاصورةِ وأدمَ وحوَّاءَ الصُّورةِ، كانت عند هذه الخطيئةِ. خطيئةُ تناولِ آدمَ لفاكهةِ تلكِ الشَّجرةِ المنهيِّ عن ثمارها. فما معنى رجلٍ بلا تعبيراتٍ جنسيَّةٍ ظاهرةٍ للدلالة على الهويَّةِ ومن ثمَّ الوظيفةِ، وما معنى امرأةٍ بلا تعبيراتٍ جنسيَّةٍ ظاهرةٍ لتحكيمِ غوايتها وتالياً وظيفتها في إيجادِ الحياةِ.

"وما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ"

لعمليَّةِ الخلقِ غايةٌ ووظيفةٌ. كذلك كانَ خلقُ آدمَ وخلقُ حوَّاءَ غايةً وظيفيَّةً. ولتحقيقِ الغايةِ كان لا بدَّ من توفيرِ الأدواتِ. وبما أنَّ البقاءَ هو الأساسُ وهو جوهرُ الأولويَّاتِ الوظيفيَّةِ، كان لا بدَّ إذاً من تحقُّقِ الأدواتِ لضمانِ هذا البقاءِ. وبما أنَّه لا أفعالَ من الغريزةِ الجنسيَّةِ ضامناً ومديماً لبقاءِ النَّوعِ، كانت وسائطُ الاتِّصالِ الجنسيِّ بين الجنسينِ آدمَ وحوَّاءَ هي الوسيلةُ والأداةُ التي لا تبلى.

وعليه، أكلُ آدمَ لثمرةِ هذه الشَّجرةِ، أي التَّفاحةِ، أوجدَ النَّورَ والوظيفةَ لعمليَّةِ خلقِ آدمَ وحوَّاءَ. وتالياً أوجدَ مبرراتِ الوجودِ الماديِّ لكليهما. بذلك، ترسمُ التَّفاحةُ، بمعناها المجازيِّ، حدَّ الفصلِ بينَ طورينِ متعاقبين؛ طورٍ غيرِ مُعيَّن هو طورُ الخلقِ وطورٍ تاليٍّ له مُعيَّن هو طورُ التَّصويرِ؛ انظرِ الشَّكلَ (٣).



الشَّكل (٣)

تفاحةُ آدمَ

اختلف الفقهاءُ في صفةِ تلكِ الشَّجرةِ، لكنَّ شبه الإجماعِ ينحى باتجاهِ شجرةِ التَّفاحِ. كانتِ التَّفاحةُ ومازالت ترمزُ إلى تلكِ الخطيئةِ الأزليَّةِ، أساسِ وجودنا الماديِّ نحنُ البشرُ. هي التَّفاحةُ التي أعلنت صورةَ الإنسانِ بعد أن كانَ قبلاً قيمةً مجردةً غيرَ مُعيَّنة. هي التَّفاحةُ التي أعطت لأدمَ وحوَّاءَ النَّورَ والوظيفةَ. وبالتالي مبرراتِ وجودهما الماديِّ. وهي أيضاً التَّفاحةُ التي أخرجت أبونا آدمَ وحوَّاءَ من غيرِ مكانٍ حيثُ اللاغريزةُ له عنوانٌ (الجنةُ)، إلى مكانٍ حيثُ تستوطنُ الغريزةُ (الحياةُ الدُّنيا).

بالنتيجةِ، هي التَّفاحةُ التي رسمت حدَّ الفصلِ بينَ طورينِ في نشوءِ الإنسانِ؛ سابقٍ هو طورُ الخلقِ ولاحقٍ هو طورُ التَّصويرِ.

الطُّورُ ما قبل التَّفَاحَةِ.. هو الطُّورُ ما قبل الصُّورَةِ

قبلاً، كان الإنسانُ قيمةً مجردةً، تسكنُ مشيئةَ الخالقِ. بعداً، أصبح الإنسانُ قيمةً وجوديةً، مقروءةً، تسكنُ موطنَ الغريزةِ. تتقاذفها ثنائياتٌ نهمةٌ لا نهايةَ لها، من أمنٍ وخوفٍ، جوعٍ وشبعٍ، قوَّةٍ وضعفٍ، صحَّةٍ ومرضٍ، إلى باقي تلكم المصطَفاتِ.

الصُّورَةُ هي التَّعبيرُ الظَّاهرُ، المرئيُّ، عن المخزون الجينيِّ الخاصِّ لكلِّ منَّا. هي صورةُ الاختلافِ، وهي صورةُ الخصوصيةِ كذلك. التَّنوعُ الهائلُ في جيناتنا نحنُ البشرِ اقتضى هذا التَّنوعُ الهائلَ في الشَّكلِ الخارجيّ، أي في الصُّورَةِ. إذا تطابقت جيناتنا، تطابقت أشكالنا. عندها، تنتفي أهميَّةُ الصُّورَةِ لغيابِ المعنى، أي لغيابِ الوظيفةِ. فما معنى ملياراتِ الصُّورِ المُتطابقةِ؟

بالمثل، ما معنى صورة رجلٍ أو صورة امرأةٍ من دون الأدواتِ الجنسيَّةِ لازمةِ الوظيفةِ؟ انحاءُ الأعضاء التناسليَّةِ الذكريَّةِ يعني إلغاءُ الدُّورِ والوظيفةِ للرجلِ. إلغاءُ الدُّورِ يُلغي منطقاً غايةَ الخلقِ وتالياً مبرراتِ الوجودِ الماديِّ. بالنتيجةِ، لا أعضاء تناسليَّةٌ ذكريَّةٌ يعني بالضرورةِ لا صورة. بالمثل، جُرِّدتِ حواءُ من أدواتها الجنسيَّةِ، انكمشَ ضوؤها وخبا حريقُ سحرها، وألغى تالياً دورها ووظيفتها في إيجادِ الحياةِ. غابَ المُنادي وغابَ النِّداءُ فهل تنتظرُ من مجيبٍ؟

لا عبئيَّةٌ حين نكونُ أمامَ خالقٍ وخلقٍ. البارئُ منحَ الأشياءَ وظيفتها ويسرَّ لها فعلَ ما سُخِّرَتْ لأجله. وبهذا المعنى تكون الصُّورَةُ وظيفيَّةً. لا تُنسى وأنت تقرأ هذه الكلمات أنَّ المقالِ ها هنا هو في الرَّجُلِ الأوَّلِ آدمَ وفي المرأةِ الأولى حواءَ. انظرِ الشَّكلَ (٤).



تمثيلُ المرأةِ بعد حذفِ التَّعبيراتِ الجنسيَّةِ الأنثويَّةِ
(لاحظِ الطَّباقَ بينَ الجنسينِ)

بغيبابِ الأدواتِ الجنسيَّةِ الظَّاهرةِ، تغيبُ توابغها المستترةُ الداخليَّةُ. فلا يَبقى عندها إلا المُشتركاُ التَّشريحيَّةُ بينَ الجنسينِ. عندها لا تجدُ العينُ ما ترصدهُ. فيتساوى حينها وجودُ الصُّورَةِ مع عدمه. أي لا قيمةٌ للصُّورَةِ لانقضاءِ المعنى.



تمثيلُ الرَّجُلِ بعد حذفِ التَّعبيرِ الجنسيِّ الذَّكريِّ
(لاحظِ الطَّباقَ بينَ الجنسينِ)

بغيبابِ الأدواتِ الجنسيَّةِ ظاهراً، تغيبُ ملحقاتها الباطنةُ حكماً، كما كلُّ الرُّوافدِ الهرمونيَّةِ والنَّفسيَّةِ. لا يَبقى بعدها إلا المُتطابقاتُ التَّشريحيَّةُ بينَ الجنسينِ. عندها، لا يمكنُ تحديدهُ الفروقِ بينَ الجنسينِ عياناً لانقضاءِ وجودها واقعاً. غيبابُ الاختلافِ يُفقدُ الصُّورَةَ معناها.

الشَّكلُ (٤)

قبل أن يتناول آدمُ ثمرةَ تلكم الشَّجرةِ، كان الإنسانُ قيمةً مجردةً، مطلقاً، تسكنُ مشيئةَ الخالقِ. بعدها، أصبح الإنسانُ وجوداً مادياً، من لحمٍ ودمٍ، مسكوناً بضعفه.. بغريزته.

"اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ"

وغيرها كثيرٌ ممَّا يشيرُ إلى المنشأ الواحدِ لكلا الجنسينِ الرَّجُلِ والمرأةِ. فأدمُ وحواءُ من ذاتٍ واحدةٍ إذاً، وهذا بيانٌ؛ انظرِ الشَّكلَ (٥). اختلفتِ التَّفاسيرُ والأقاويلُ في كِيفيَّةِ الحدوثِ، بيدَ أنَّ واحدةً منها شاعتُ على لسانِ الخلقِ ووجدتُ لها سنداً في أحاديثِ النبيِّينِ كما في بعضِ الكتبِ المقدَّسةِ. أعني خَلقَ حواءَ من ضلعِ آدمَ.



الشَّكلُ (٥)

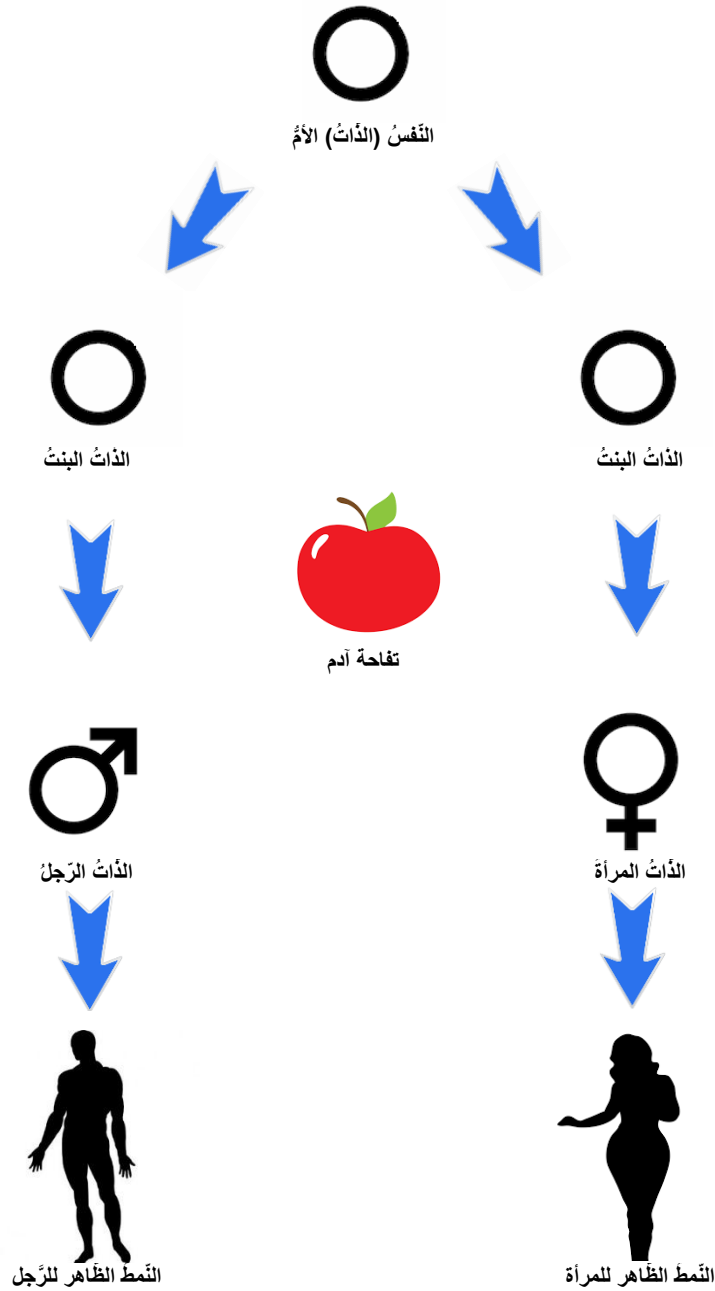
النَّفْسُ (الذَّاتُ) الواحدةُ
الأصلُ في كلا الجنسينِ؛ آدمُ وحواءُ

"هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ"

في البدء كَانَ فعلُ الخلقِ. وللخلقِ وظيفةٌ ممَّا لا نعلمه نحنُ البشرَ. وبعدَ الخلقِ كانتِ الصُّورةُ جسداً مُعائناً ترصدُه الحواسُ. ما بينَ الخلقِ والتَّصويرِ قصَّةٌ إعجازٍ وإبهارٍ عمرُها بعمرُ الزَّمنِ.

مُدُّ أنْ تكتفَتْ فكرةُ الإنسانِ في مشيئةِ الخالقِ، استنفرتِ المادَّةَ لتحقيقِها واقِعاً. مخاضٌ طويلٌ تألفتِ فيه عناصرُ المادَّةَ لتحقيقِ الذاتِ الأولى في تكوينِ الإنسانِ. ثُمَّ كانَ أنْ أعطتِ الذاتُ الواحدةُ ذاتينِ متميزتينِ، ذكراً وأنثى. اختلافُ الدَّورِ والوظيفةِ استدعى الصُّورةَ، صورةَ الرَّجُلِ وصورةَ المرأةِ، بعدَ أنْ كانتِ زمناً طويلاً طيَّ الخلقِ.

من النَّشأةِ الأولى إلى اكتمالِ الصُّورةِ، أُجملُ التَّسلسلُ الزَّمنيُّ لفعلِ تكوينِ الإنسانِ، كما قرأتهُ ضمناً في آياتِ القرآنِ الكريمِ، في الجدولِ التَّالي؛ انظرِ الشَّكْلَ (٦).



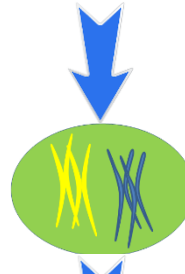
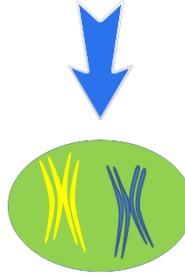
الشَّكْل (٦)
مخطَّطٌ بيانيٌّ لكاملِ عمليَّةِ تكوينِ الإنسانِ
مع احترامِ التَّسلسلِ الزَّمنيِّ

خَلْقُ حَوَاءَ مِنْ ضَلْعِ آدَمَ

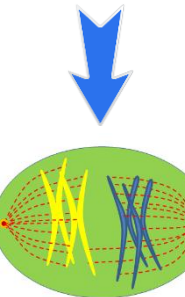
في مقالةٍ سابقةٍ بعنوان "**خُلِقَتْ حَوَاءُ مِنْ ضَلْعِ آدَمَ، رَانِعَةُ الإِبْحَاءِ الفَلَسْفِيُّ والمَجَازِ العِلْمِيُّ**" درستُ الإمكانَ العِلْمِيَّ لهكذا خَلْق. زَاوَجْتُ فِيهَا بَيْنَ تَطَرُّفِ الخَيَالِ ومَخْرَجَاتِ العِلْمِ الحَدِيثِ. رَدِمْتُ وديَانَا، وَأَقَمْتُ جِسورًا، لِأَصِلَ مَا انْقَطَعَ فِي سَلْسَلَةِ البَحْثِ العِلْمِيِّ. أَوْضَحْتُ فِيهَا كَيْفَ يُمْكِنُ لِخَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ أُمَّ أَنْ تَعْطِيَ خَلِيَّتَيْنِ مَخْتَلِفَتَيْنِ جِينِيًّا؛ وَاحِدَةً ذَكَرًا وَالأُخْرَى أَنْثَى. بَدِيعَةٌ مِنْ بَدَائِعِ الخَلْقِ، مَفْتَاحُهَا ضَلْعٌ أَقْتَلَعْتُ مِنْ صَبْغِي الأُولَى وَضَمَمْتُ إِلَى نَوَاةِ الثَّانِيَةِ. وَالنَّيْجَةُ كَمَا رَأَيْتَهَا عِيوْشَةً تَسْتَحِقُّ العَرَضَ؛ انظُرِ الشَّكْلَ (٧).



نشأ الذَّكَرُ والأُنثَى مِنْ خَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الخَلِيَّةُ الأُولَى الأُمَّ (Master Stem Cell). الخَلِيَّةُ الأُولَى الأُمَّ لِلبَشَرِ اسْتَبْطَنَتْ فِي نَوَاتِهَا مَفْرَدَاتِ إنْسَانِ المَسْتَقْبَلِ. اِحْتَوَتْ الخَلِيَّةُ الأُولَى الأُمَّ عَلَى طَلِيْعَةٍ مَا سَمِّيَ فِيهَا بَعْدَ الصَّبْغِيَيْنِ الجِنْسِيَيْنِ عِنْدَ الرَّجُلِ وَالمَرَأَةِ. طَلِيْعَةُ الصَّبْغِيَيْنِ الجِنْسِيَيْنِ فِي نَوَاةِ الخَلِيَّةِ الأُمَّ لَا بَدَّ وَكَانَا XX (وَهُمَا بِالمُنَاسِبَةِ لَمْ يَصْبِحَا بَعْدَ صَبْغِيَيْنِ جِنْسِيَيْنِ). الصَّبْغِيَانِ (XX) لِلخَلِيَّةِ الأُولَى الأُمَّ لَا يَشْبَهُانِ الصَّبْغِيَيْنِ الجِنْسِيَيْنِ لِلْمَرَأَةِ (XX) إِلا فِي (X) وَاحِدَةٍ، بَيْنَمَا الصَّبْغِيُّ X الثَّانِي فَمَخْتَلَفٌ عَنْهُ وَسَرَى تَفْصِيلٌ ذَلِكَ لِاحْتِقَاقِ تَمْيِيزِ الصَّبْغِيَيْنِ XX لِلخَلِيَّةِ الأُولَى الأُمَّ عَنِ الصَّبْغِيَيْنِ الجِنْسِيَيْنِ لِلْمَرَأَةِ، نَرْمِزُ لِلأَوَّلَيْنِ بِ pXX حَيْثُ تَشِيرُ السَّابِقَةُ p إِلَى كَلِمَةِ طَلِيْعَةٍ precursor. (pXX= precursor of both sexual chromosomes XX and XY)



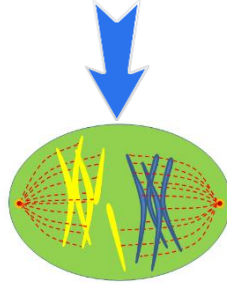
التَّكَاثُرُ اللَّاجِنْسِيُّ الـ Mitosis لِلخَلِيَّةِ الأُولَى الأُمَّ الـ Master Stem Cell: أَثْنَاءَ تَكَاثُرِهَا اللَّاجِنْسِيِّ Asexual Reproduction، يَتَضَاعَفُ مَخزُونُ الخَلِيَّةِ الجذْعِيَّةِ الأُمَّ مِنَ المورثَاتِ (مِثْلًا هُنَا بِطَلِيْعَةِ الصَّبْغِيَيْنِ الجِنْسِيَيْنِ pXX) تَمَهِّدًا لِقسْمَتِهَا المَتَسَاوِيَةِ بَيْنَ الخَلِيَّتَيْنِ البَنَاتِيْنِ الـ Daughter Cells. (pXX= precursor of both sexual chromosomes XX and XY)



التكاثر اللاجنسي الـ Mitosis للخلية الأم الـ Mother Stem Cell:

يتشكل الجسمان القطبان ومغزلا الانقسام.

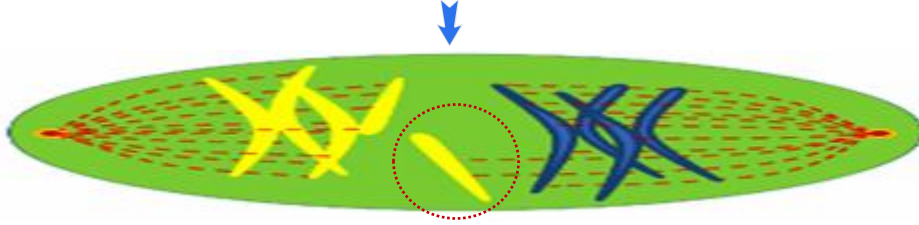
تلتصق الأنابيب المجهرية الـ Microtubules المشكّلة لمغزل الانقسام مع الصبغيات استعداداً لسحبها في اتجاهين متعاكسين. حدثت أن التصلقت بعض الأنابيب المجهرية لمغزل الانقسام في إحدى الخليتين مع الصبغي X (غير الجنسي إلى الآن) للخلية البنت الأخرى.



التكاثر اللاجنسي الـ Mitosis للخلية الأولى الأم الـ Mother Stem Cell:

في مرحلة الهجرة والانفصال Anaphase & Telophase، وتحت تأثير انكماش الأنابيب المجهرية لمغزل الانقسام، ينفصل ضلع من الصبغي X (اعتباراً من لحظه، يمكننا وصفه بالصبغي الجنسي المذكر Y) لإحدى الخلايا البنات لصالح الصبغي X (غير الجنسي إلى الآن) للخلية البنت الأخرى.

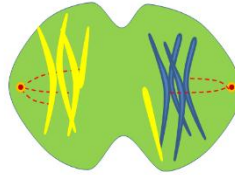
(تم تكبير الصورة أعلاه لإظهار الضلع موضوع البحث)



الضلع اثناء هجرتها

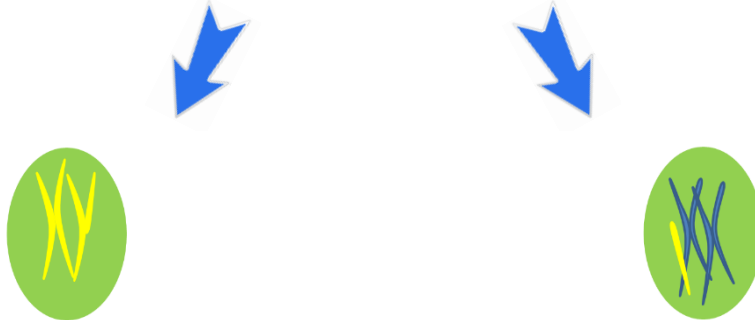
أقتلعت ضلع (داخل الدائرة الحمراء) من الصبغي X خاصة واحدة من الخليتين البنات. وضمت قسراً إلى الصبغي X خاصة الخلية البنت الثانية.

(عودة إلى القياس الطبيعي)



التكاثر اللاجنسي الـ Mitosis للخلية الأم الـ Mother Stem Cell:

تحت تأثير انكماش مغزل الانقسام، تتابع الضلع السليبة هجرتها لتلحق تدريجياً بواحد من الصبغين X للخلية البنت الغاصبة.



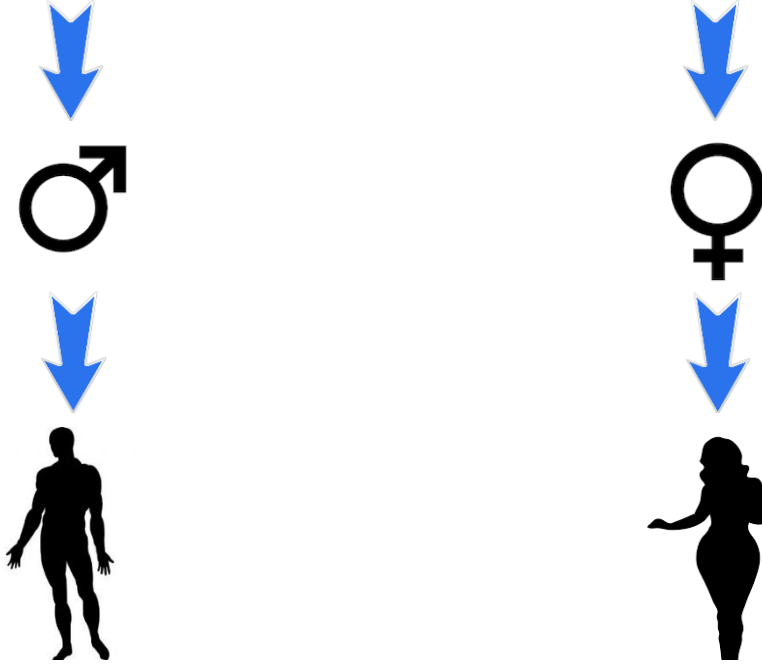
تصبح الخلية البنت الخاسرة لصلعها خلية مذكّرة يميزها الزوج الصبغي الجنسي XY بعد أن كان PXX (الضلع المسروقة - pXX = XY).

تصبح الخلية البنت الحاوية للضلع المسروقة خلية أنثى يميزها الزوج الصبغي الجنسي XX* بعد أن كان pXX (الضلع المسروقة * + pXX = XX*).

هنا، وهنا فقط، يمكننا الحديث عن صبغي جنسي مؤنث عند الخليّة الحوّاء. الصبغي الجنسي المؤنث هو الصبغي X بعد أن انضمّت إليه الضلعُ المسروقة، فأصبح الصبغي X العملاق. وسيكون رمزه من الآن فصاعداً X* (حيث تشير الـ * إلى الضلع المُضافة). أما الصبغي X الثاني (الصغير) فلا اعتقدُ بجنسيته، هو صبغي حامل للصبغي الجنسي الذكري لا أكثر.

هنا، وهنا فقط، يمكننا الحديث عن صبغي جنسي مؤنث عند الخليّة الحوّاء. الصبغي الجنسي المؤنث هو الصبغي X بعد أن انضمّت إليه الضلعُ المسروقة، فأصبح الصبغي X العملاق. وسيكون رمزه من الآن فصاعداً X* (حيث تشير الـ * إلى الضلع المُضافة). أما الصبغي X الثاني (الصغير) فلا اعتقدُ بجنسيته، هو صبغي حامل للصبغي الجنسي المؤنث لا أكثر.

ملاحظة: الصبغي الجنسي X العملاق (X*) سيعطي فيما بعد جسيم بار Barr Body في نواة كلّ خليّة جسميّة عند المرأة.



الرّجلُ الأوّل آدم
وأما الأبناء، فما زالوا إلى يومنا هذا يشقّون في استعادة ما
سرق من أبيهم آدم في عتمة ذلك اللّيل البهيم.

المرأة الأولى حوّاء،
أشرقت فرحاً بما آتاها، فأودعته عزيزاً في حنايا بنيّاتها
على مرّ الأزمان.

الشكل (٧)
خلق حوّاء من ضلع آدم



حوّاء، دلالات ومعنى

قد يكون اسمها صيغةً شبيهةً لاسم الفاعل **حاوي** وللفاعل **حوى**. فيكون **حوّاء** على وزن **فَعَال**. والقرآن الكريم يزخرُ بمثيلاتِ هذا الاشتقاق؛ مثال غفّار، همّاز، ومشاء.

انطلاقاً من هذا، وفي سياق بحثي عن الأصل في تسمية حوّاء، داهمتني فرضيتان. فأما الأولى فهي الأساس والأكثرُ صحباً وإحاحاً، وأما الثانيةُ فطارئةٌ بيد أنّها لا تنفكُ تدغدغُ خاطري. لذلك أجدني مرغماً لعرضيهما كليهما.

حوّاء السّر

تحتوي نواة كلّ خليّة من جسد حوّاء على جسيم بار Barr Body، وهو ممّا تختصُّ به المرأة دون الرّجل. عام ١٩٤٩ كان الكشفُ الأوّل لجسيم بار. من حينها، والناسُ تختلفُ حول النشأة والوظيفة. وحديثاً، كشفَ عن تركيبة جسيم بار المشابهة للصبغي (X)، بيدّ أنّه بدا أكبرَ وزناً جزيئياً.

شخصياً، يتمكّنني اعتقادُ يرقى إلى درجة اليقين بأنّ جسيمَ بار ما هو إلا الصبغيّ الأنتوي (*X). وبأنّ هذا الأخير هو ناتج اجتماع الصبغيّ (X)، خاصّة الخليّة الأمّ، مع الصلغ المُقتلعة (*) من نواة الخليّة البنت الذكّر؛ انظر الشكل (٧).

بهذا المفهوم الخاصّ، يكون جسيمُ بار مفتاحاً لأحجية طالما شغلت بال العامّة والخاصّة عبر كلّ الأزمان؛ أحجية خلق آدم وحواء على الصّورة التي نعلم؛ وأحجية خلق حواء من ضلع آدم؛ وأحجية تفاحة آدم كذلك.

امتلكت حواء مفاتيح الأسرار جميعاً فاستحققت اسمها. حواء حفظت سرّ الخلق فأودعته عزيزاً أمانة في نواة كلّ خليّة من جسديها. فحواء بذلك فعلت اشتمالاً واحتواءً، كما أنّها فعلت سحرٍ وغوايةً.

حواء المشروع

احتوت حواء في ذاتها أدوات مشروعها كاملةً فاستحققت اسمها. فحواء وظيفة ودور. هي المعنويةُ أبداً بإنتاج الحياة. كيف لا؟ وهي المالكةُ لأدواتها جميعاً أو تكاد. فمببضها كنزٌ، ورحمها حضنٌ، وتديها ماء الحياة السلسبيل. وفوق ذلك، قلبها قوارٍ يبعثر الحبّ ينثره. وقلعها حوَّازٌ مُمسكٌ باللحظة لا يخلها، غيرٌ منشغلٍ بتاليها وهو أساساً ساهٍ عن ماضيها. عقلٌ عيوشٌ، بلا مركوم معرفيٍّ. فهو لا يعبّرُ من طللٍ تلفٍ، وهو غيرُ أبيه بمستقبلٍ أزف. عقلٌ يحبُّ ما يملك، ويُجمَلُّ ما يحبُّ. عقلٌ يستعمرُ اللحظة يرشّفها وشاحاً لحبيبٍ، أم وسادةً لعزيرٍ، أم مهداً لوليدٍ. فنعم الحياة، هي فيها الأمّ والحبّ والسند.

الرؤية النتيجة

هنالك، في الأفق السّحيق، في حدّ الفصل ما بين السّماء والأرض، بين اللّامرئيّ والمرئيّ، بين المُطلق والمقيّد، بين المُجرد والمُجسد، بين الكناية والتّصريح، بين الخلق والتّصوير، تلوح تفاحة. وخلف التفاحة، تختبئ ضلع. فأما الأولى فتتنسب إلى آدم، وأما الثانية فتتنسب إلى آدم كذلك.

تفاحة آدم وضلع آدم، رائعتنا الإيحاء الفلسفيّ والمجاز العلميّ. الأولى دسٌ وغوايةٌ، والثانية خلةٌ طرفة. الأولى فعلٌ خلق والثانية فعلٌ خلق. الأولى نهَمٌ للمخيّلة، والثانية محرّكٌ للفكر. الأولى خاصّة البصر، والثانية خاصّة البصيرة.

التفاحة هي مقدّمة الصّورة والصلغ هي الأساس في الصّورة. فلولا التفاحة ما كان الجسد.. ملح الغريزة. ولولا الضلع ما كانت حواء.. قبله الغريزة. التفاحة والصلغ، وجهان لصورة الإنسان. التفاحة هي الضلع، كما الضلع هي التفاحة، لا فرق بينهما. تخالهما اثنتين لكنّ الخطيئة واحدة والجوهر واحد.

أنصح بقراءة المقالات التالية:

- هل يفيدُ التداخُلُ الجراحيُّ الفوريُّ في أدبياتِ النخاعِ الشوكيِّ وذيلِ الفرسِ الرضيّة؟

- النقل العصبيّ، بين مفهوم قاصر وجديد حاضر

[The Neural Conduction.. Personal View vs. International View](#)

في النقل العصبيّ، موجاتُ الضغطِ العاملة [Action Pressure Waves](#)

في النقل العصبيّ، كموناتُ العمل [Action Potentials](#)

وظيفةُ كموناتِ العملِ والتّيّاراتِ الكهربائيّةِ العاملة

في النقل العصبيّ، التّيّاراتُ الكهربائيّةِ العاملة [Action Electrical Currents](#)

الأطوارُ الثلاثةُ للنقلِ العصبيّ

المستقبلات الحسيّة، عبقرية الخلق وجمال المخلوق

النقل في المشابك العصبيّة [The Neural Conduction in the Synapses](#)

عقدة رانفييه، ضابطة الإيقاع [The Node of Ranvier, The Equalizer](#)



وظائفُ عقدة رانفييه The Functions of Node of Ranvier	▶
وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الأولى في ضبط معايير الموجةِ العاملة	▶
وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثانية في ضبط مسار الموجةِ العاملة	▶
وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثالثة في توليد كمونات العمل	▶
في فقه الأعصاب، الألم أولاً The Pain is First	-
في فقه الأعصاب، الشكل.. الضرورة The Philosophy of Form	-
تخطيط الأعصاب الكهربائي، بين الحقيقي والموهوم	-
الصدمة النخاعية (مفهوم جديد) The Spinal Shock (Innovated Conception)	▶
أدبّات النخاع الشوكي، الأعراض والعلامات السريرية، بحث في آليات الحدوث The Spinal Injury, The Symptomatology	-
الرّمع Clonus	▶
اشتداد المنعكس الشوكي Hyperactive Hyperreflexia	▶
اتّساعُ باحة المنعكس الشوكي الاشتدادي Extended Reflex Sector	▶
الاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس الشوكي الاشتدادي Bilateral Responses	▶
الاستجابة الحركية العديدة للمنعكس الشوكي Multiple Responses	▶
التنكس الفاليري، يهاجم المحاور العصبية الحركية للعصب المحيطي.. ويعف عن محاوره الحسية	-
Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons	▶
التنكسُ الفاليري، رؤيةٌ جديدةٌ Wallerian Degeneration (Innovated View)	▶
التجدُّدُ العصبيُّ، رؤيةٌ جديدةٌ Neural Regeneration (Innovated View)	▶
المنعكساتُ الشوكيةُ، المفاهيمُ القديمة Spinal Reflexes, Ancient Conceptions	▶
المنعكساتُ الشوكيةُ، تحديثُ المفاهيم Spinal Reflexes, Innovated Conception	▶
خُلقتِ المرأةُ من ضلعِ الرّجل، رائعةُ الإحياءِ الفلسفيِّ والمجازِ العلميِّ	▶
المرأةُ تقرّرُ جنسَ وليدها، والرّجلُ يدعى!	▶
الرُّوحُ والنَّفْسُ.. عطيةُ خالقٍ وصنبةُ مخلوق	-
خُلِقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أكبرُ من خلقِ النَّاسِ.. في المراميِّ والدلالاتِ	-
تَفَاحَةُ آدمَ وضلعُ آدمَ، وجهانُ لصورةِ الإنسانِ.	▶
حِوَاءُ.. هذه	-
سفينةُ نوح، طوقُ نجاةٍ لا معراجَ خلاص	-
المصباحُ الكهربائي، بين التجريدِ والتّنفيدِ رحلةُ ألفِ عام	-
هكذا تكلمَ إبراهيمُ الخليل	-
فقهُ الحضاراتِ، بين قوّةِ الفكرِ وفكرِ القوّةِ	-
العِدَّةُ وعلّةُ الاختلافِ بين مُطلّقةٍ وأرملَةٍ ذاتِ عفاف	-
تعدُّدُ الزّوجاتِ وملكُ اليمينِ.. المنسوخُ الأجلُ	-
الثقبُ الأسودُ، وفرضيةُ النجمِ السّاقطِ	▶
جُسيمُ بار، مفتاحُ أحجيةِ الخلقِ	▶